القومية وفي التنظيم الاجتماعي ، كما تحقق لها الامن والاستقرار ٠

موجة الرجعية السوداء في اوروبا

عرف ماركس الدولة البروسية الالمانية البسماركية سنة ١٨٧١ بانها استبدادية عسكرية ، تزينها اشكال برلمانية ، وهي مزيج من علاقات الملكية الاقطاعية والنفوذ البورجوازي ، تقوم على هيكل عظمي بيروقراطي وسندبوليسي (٧) ٠

وكان بسمارك يواجه التهديد الذي خيم على اوروبا الجرمانية الكاثوليكية ، ويدعو النبالة الريفية والبورجوازية الكاثوليكية والبروتستانتية الى الاتحاد في مواجهة العدو الجديد : وهو البروليتاريا ، وكل دعوات الاشتراكية الديموقراطية والنقابات والتنظيمات التابعة لها ٠

والواقع ان وصول بسمارك الى الحكم في المانيا ، يعطينا نموذجا ، للطريقة التي واجهت بها الرجعية الاوروبية تعاظم الثورة في اوروبا على يد الطبقة العاملة وقيادتها الراديكالية الجديدة ، كما يؤذن بالتحول الكبير الذي سيطرأ على الحركة السياسية في القارة ، بانتكاس القومية الليبرالية الديموقراطية وتحولها الى القومية الرجعية الشوفينية ٠

فقد كتب ماركس وانجلز بيانهما الشيوعي سنة ١٨٤٨ ٠ وكان بيان قادة الاشتراكية العلمية ثمرة لنضالات الطبقة العاملة الاوروبية ، وتكثيفا لخبرتها وانعكاسا لواقعها الجديد منذ ثورات سنة ١٨٣٠ وسنة ١٨٤٨ بوجه الخصوص في فرنسا والمانيا ، كان يؤذن بمرحلة ثورية جديدة عبرت عنها تنظيمات الطبقة العاملة واحزابها الاشتراكية العلمية في هذه الفترة ٠ وقد خيمت حركتها على الاجواء الاوروبية ، وبدت شعاراتها ونداءاتها التي ارتفعت ، في اعين الرجعية، سحابات سود تنذر ببروق ورعود مشحونة بالخطر ٠

وكان للنجاح الذي احرزته حركة الوحدة الايطالية ، بعد انتصارها الكبير سنة ١٨٥٩ ـ ٦١ تحت قيادة كافور الليبرالية ، اثر في تنشيط وتحريك الفكر الليبرالي وشد ازره في جميع الاقطار الالمانية ٠ وامام هذه الموجة الجديدة المتعاظمة من الثورة الليبرالية والراديكالية البروليتارية استدعي بسمارك ليتولى الوزارة سنة ١٨٦١ ٠ وفي مستهل وزارته حاول اجتذاب الاغلبية الليبرالية في البرلمان ، ولكنه سرعان ما عبر عن حقيقة اتجاهه عندما تحدث عن الوحدة القومية بقوله : « المانيا لا تتطلع الى ليبرالية بروسيا ، بل الى قوتها « لأن » « المسائل الكبرى في العصر لا يتقرر مصيرها بالخطب وقرارات الاغلبية فهذه هي اخطاء سنة ١٨٤٨ وسنة ١٨٤٩ بل بالدم والحديد » (٨) ٠